

الرسالة السادسة



علاء الدين

في جزيرة اللؤلؤ



محمد ربيع السندباد



الرسالة السادسة

في جزيرة الأندلس

اعتاد ورشوم

رفعت عفيفي

الدار الموزجية

للطباعة والنشر



شركة أبناء شريف الأضرى للطباعة والنشر والتوزيع

صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية •

الخبثيق العميق - ص.ب. 11/558

تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875

بيروت - لبنان

• المراكز العلمية •

بوتيفر د. نزيه البيزري - ص.ب. 221

تلفاكس: 720624 - 729259 - 00961 7 729261

بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية •

كفر جرة - طريق عام صيدا جزين

00961 7 230841 - 07 230195

تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875

صيدا - لبنان

1436 هـ - 2015

Copyright© all rights reserved

جميع الحقوق محفوظة للنشر

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

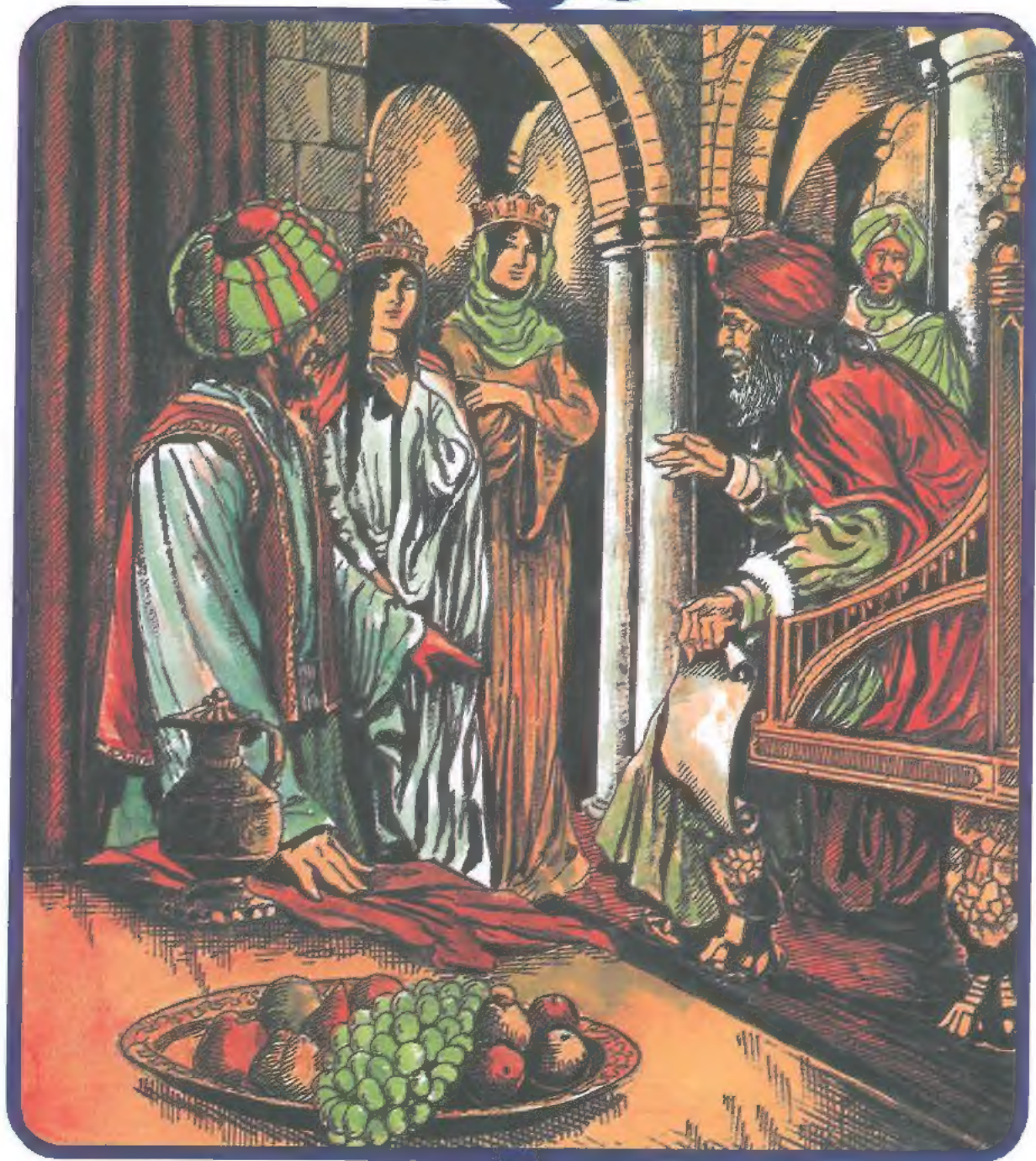
alassrya@terra.net.lb

E. Mail alassrya@cyberia.net.lb

info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com



مَضَى عَامَانِ عَلَى عَوْدَتِي مِنْ رِحْلَتِي الْخَامِسَةِ . وَكَانَ الْخَلِيفَةُ قَدْ انْتَقَلَ إِلَى رَحْمَةِ
اللَّهِ وَآلَتِ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى آيِنِهِ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ زَوْجِ الْأَمِيرَةِ الَّتِي جِئْتُ بِهَا مِنْ بِلَادِهَا
بِنَاءً عَلَى طَلَبِ الْخَلِيفَةِ الرَّاحِلِ . وَظَلَلْتُ خِلَالَ هَذَيْنِ الْعَامَيْنِ أَتَرَدَّدُ دَائِمًا عَلَى قَصْرِ
الْخِلَافَةِ الَّذِي كَانَتْ لِي فِيهِ مَكَانَةٌ لَا تُدَانِيهَا مَكَانَةٌ . فَكُنْتُ الرَّجُلَ الْوَحِيدَ الَّذِي يُمَكِّنُ لَهُ
رُؤْيُ الْخَلِيفَةِ الْجَدِيدِ وَزَوْجَتِهِ مِنْ غَيْرِ سِتْرٍ أَوْ حِجَابٍ . فَقَدْ كُنْتُ بِمَثَابَةِ وَالِدِهَا الَّذِي
جَعَلَنِي وَكِيلًا عَنْهُ فِي زَوَاجِهَا .

وَلَمَّا كَانَ وَالِدُهَا يُقِيمُ فِي مَمْلَكَتِهِ الْبَعِيدَةِ فَقَدْ كَانَتْ الْأَمِيرَةُ تَطْلُبُ مِنِّي دَائِمًا أَنْ
أَوْفِيَهَا بِأَخْبَارِهِ وَأَخْبَارِ عَائِلَتِهَا عَنْ طَرِيقِ التُّجَّارِ الَّذِينَ يَسَافِرُونَ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ .

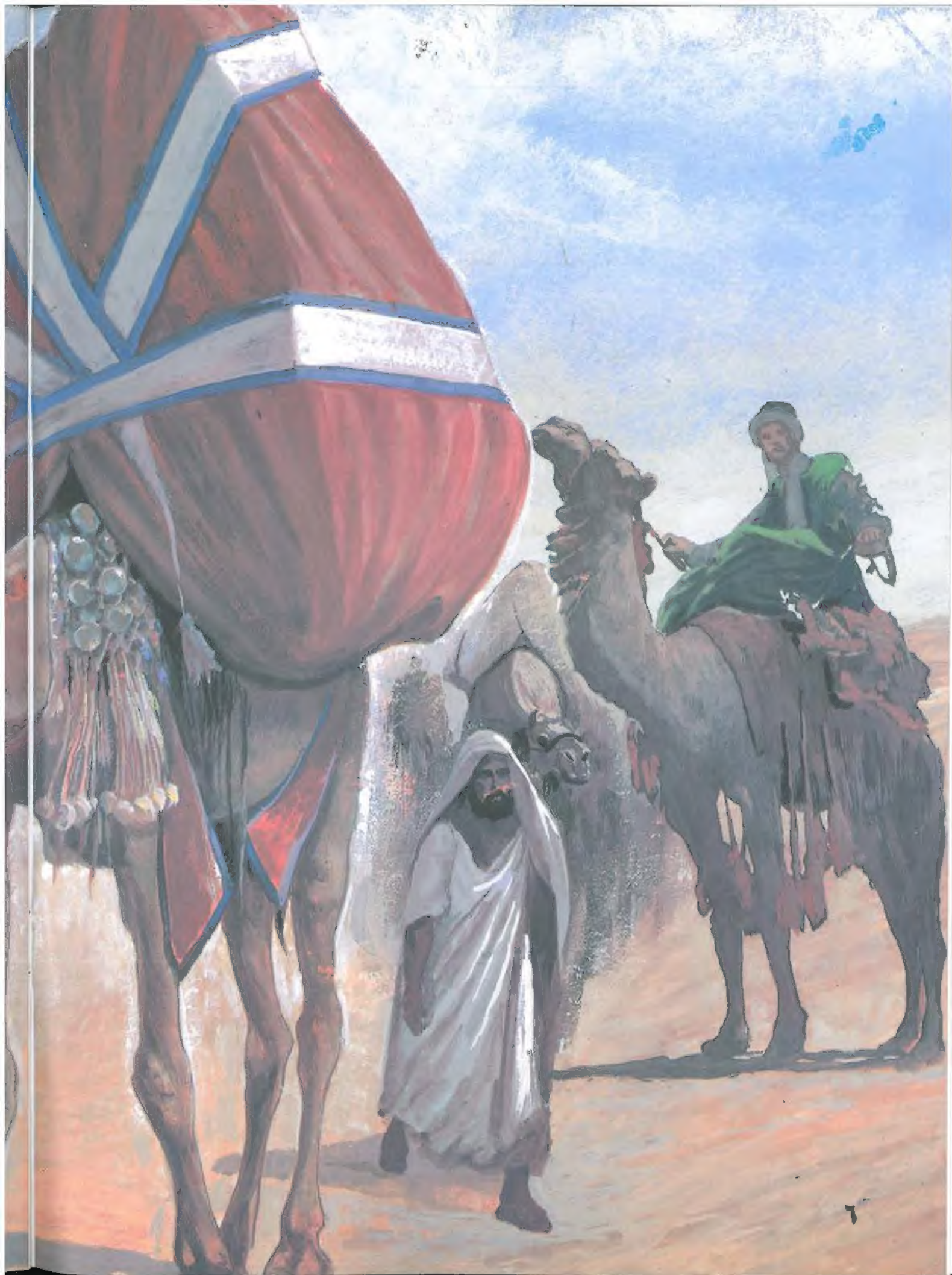
وَذَاتَ يَوْمٍ وَصَلْتَنِي رِسَالَةٌ مَعَ أَحَدِ التُّجَّارِ مِنْ أَبِيهَا وَأُمِّهَا تُفِيدُ بَأَنَّهُمَا يَرِغْبَانِ فِي
زِيَارَةِ بَغْدَادَ لِرُؤْيَةِ ابْنَتَيْهِمَا وَزَوْجِهَا الْخَلِيفَةِ . فَأَخَذْتُ الرِّسَالَةَ مِنْ فَوْرِي إِلَى قَصْرِ الْخِلَافَةِ
وَأُطْلَعْتُ الْخَلِيفَةَ عَلَيْهَا فَتَنَادَى عَلَى الْأَمِيرَةِ وَزَوْجَتِهِ وَأُطْلَعَهَا هِيَ الْأُخْرَى عَلَى مُحتَوَى
الرِّسَالَةِ فَظَهَرَتْ السَّعَادَةُ عَلَى وَجْهِهَا وَسَأَلَتِ الْخَلِيفَةَ رَأْيَهُ فَأَجَابَهَا بِقَوْلِهِ : « أَهْلًا بِهِمَا فِي
بِلَدِهِمَا ، وَمِنْ الْآنِ سَتَرْدَانُ بَغْدَادَ اسْتَعْدَادًا لِمُقَابَلَتِهِمَا » . وَنَظَرَ نَاحِيَّتِي وَقَالَ : « سَتَكُونُ
أَنْتَ يَا سَنْدَبَادُ رَسُولَنَا إِلَيْهِمَا وَمَصَاحِبًا لَهُمَا فِي رِحْلَتِهِمَا . . . » وَانْتَابَتْنِي حَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ مِنْ
هَوْلِ الْمَفَاجَأَةِ وَقُلْتُ فِي تَرَدُّدٍ : - إِنِّي يَا مَوْلَايَ كُنْتُ عَاهَدْتُ نَفْسِي عَلَى عَدَمِ السَّفَرِ .
وَلَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُرَدَّ لَكَ طَلِبًا أَوْ أُعْصِي لَكَ أَمْرًا . فَتَبَسَّمَ الْخَلِيفَةُ قَائِلًا : - لَيْسَ
عِنْدِي سِوَاكَ لِهَذَا الْأَمْرِ يَا سَنْدَبَادُ . وَسَتَكُونُ لَهُمَا نِعَمُ الرَّفِيقِ . وَإِذَا لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنْ أَجْلِ
خَاطِرِي فَلْيَكُنْ مِنْ أَجْلِ خَاطِرِ الْأَمِيرَةِ الَّتِي سَتُنْجِبُ لَنَا عَمَّا قَرِيبٍ مَنْ يَكُونُ وَلِيَّ الْعَهْدِ
وَيَرِثُ الْمُلْكَ مِنْ بَعْدِي . وَلَمْ يَكُنْ أَمَامِي مَا أُجِيبُ بِهِ إِلَّا قَوْلِي : - أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِكَ يَا
مَوْلَايَ وَأَنَا طَوْعُ أَمْرِكَ وَأَمْرِ الْأَمِيرَةِ .

لم تمض أيام قليلة إلا وكنت قد جهّزت نفسي للسفر بكل ما يلزم وتوجّهت إلى قصر الخلافة لتوديع الخليفة وزوجته اللذين تمنيا لي رحلة سعيدة وعودة حميدة. وخرجت في قافلة كبيرة تحمل الكثير من الهدايا. وبعد عدة أيام ظهرت لنا البصرة فدخلناها مساءً.

أوتيت إلى خان للمبيت. وفي الصباح خرجت منه إلى الميناء حيث تقف السفن راسية، بعضها على وشك الرحيل والبعض الآخر في انتظار. ورأيت سفينة كبيرة الحجم قوية الصنع، كثيرة الصواري فصعدت إلى سطحها وقابلت ربانها الذي كان ينظر إلى الأفق البعيد في حسرة. فألقيت عليه السلام ويبدو أنه فوجيء بوجودي، إلا أنه رد السلام بأحسن منه وسألني عما أريد. فقلت له: «إن لك سفينة جميلة وكبيرة. فهل أنت على وشك الرحيل؟»، فأجاب الرجل بأنه يؤد الرحيل ولكنه لا يستطيع. فقلت له: - ولماذا لا تستطيع؟ فقال الرجل: - لأنني لا أملك مالا أستطيع أن أدفع منه أجر البحارة أو أتزوّد منه للرحيل.

ولهذا فإني هنا حتى يأذن الله في أمري بعد أن فقدت ما كان معي من مال. فقلت له: - وكم تحتاج من المال؟ فأجاب بأنه يلزمه ألفان من الدنانير حتى يستطيع الرحيل. فقلت له: - إن المال معي وما عليك الآن إلا أن تأتي بالبحارة وما تراه من الزاد على أن تذهب بي حيث أريد ثم تعود بي. فقال الرجل: - وإلى أين تريد أن تذهب؟ قلت: - إلى بلاد «السند ستان» لنبقى هناك شهراً ثم نعود؛ فقال الرجل: أستطيع أن أخذك إليها. لكنني لا أستطيع العودة إلى هنا. فإني أود أن أستقر في بلادي بعد أن تقدّم بي العمر ولم أعد قادراً على كثرة الأسفار.

فقلت له: - وأين بلادك؟ فقال: - هي قريبة من الجزيرة التي تريد.





فَقُلْتُ لَهُ: لَا بَأْسَ مِنْ أَنْ تُوصِلَنِي ثُمَّ أَعُودُ فِي سَفِينَةٍ أُخْرَى. وَقَدَّمْتُ إِلَى الرَّجُلِ صُرَّتَيْنِ مِنَ الْمَالِ فِي كُلِّ مِنْهُمَا أَلْفَ دِينَارٍ وَكَانَ هَذَا مَبْلَغًا كَبِيرًا يَكْفِي لِشِرَاءِ السَّفِينَةِ كُلِّهَا. لَكِنِّي فَعَلْتُ هَذَا إِشْفَاقًا عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ يَبْدُو مُتَعَبًا، وَحَزِينًا لِبُعْدِهِ عَنِ بَلَدِهِ.

فَرَحَ الرَّجُلُ بِمَا أُعْطِيَتْهُ وَنَزَلَ مِنْ فَوْرِهِ لِلْبَحْثِ عَنِ الْبَحَّارَةِ بَيْنَمَا تَوَجَّهْتُ أَنَا إِلَى الْخَانِ حَيْثُ كَانَتْ قَافِلَتِي مُتَنْظِرَةً هُنَاكَ وَأَمَرْتُ الْحَمَّالِينَ بِأَنْ يَضَعُوا الْأَحْمَالَ فَوْقَ الْمَرْكَبِ. وَعِنْدَ الظَّهِيرَةِ حَضَرَ الرَّبَّانُ وَمَعَهُ الْبَحَّارَةُ حَامِلِينَ كُلُّ مَا يَلْزَمُ مِنَ الزَّادِ وَالْعِتَادِ وَصَبَعُونَا جَمِيعًا إِلَى ظَهْرِ الْمَرْكَبِ وَجَاءَنِي الرَّبَّانُ مُمَسِّكًا وَرَقَةً بِيَدِهِ عَلَيْهَا اخْتَامٌ وَقَدَّمَهَا إِلَيَّ بِاسْمَاءٍ وَقَالَ: - خُذْ هَذِهِ الْوَرَقَةَ أَيُّهَا الرَّجُلُ الْكَرِيمُ. وَحَلَّالٌ عَلَيْكَ الْمَرْكَبُ وَمَنْ فِيهِ. فَتَعَجَّبْتُ مِنْ ذَلِكَ وَقُلْتُ لَهُ: وَلِمَاذَا تَفْعَلُ هَذَا وَأَنَا لَمْ أَطْلُبْ مِنْكَ شَيْئًا مُقَابِلَ الْمَالِ؟ فَقَالَ: - لَقَدْ رَفَضَ الْبَحَّارَةُ أَنْ يَعْمَلُوا عَلَى هَذَا الْمَرْكَبِ طَالَمَا أَنَّهُمْ لَنْ يَعُودُوا عَلَيْهِ. وَلِذَلِكَ لَمْ أَجِدْ أَمَامِي إِلَّا أَنْ أَضْمَنَ لَهُمُ الْعَوْدَةَ وَلَكِنْ بِدُونِي. فَذَهَبْتُ إِلَى قَاضِي الْبَصْرَةِ وَكَتَبْتُ هَذِهِ الْوَرَقَةَ الَّتِي هِيَ بَيْعٌ لِلْسَفِينَةِ مِنِّي إِلَيْكَ وَجَعَلْتُهُ يَوْعُ عَلَيْهَا بِاخْتَامِهِ. فَهِيَ مِنْذُ الْآنَ مُلْكُكَ لَكَ وَأَنَا أَجِيرٌ عِنْدَكَ عَلَى أَنْ تُوصِلَنِي إِلَى بِلَادِي. فَقُلْتُ لِلرَّجُلِ: - لَكَ عَلَيَّ هَذَا، وَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا.

قَبْلَ أَنْ تَتَوَارَى الشَّمْسُ وَرَاءَ الْأُفُقِ كَانَ الْمَرْكَبُ قَدْ خَرَجَ مِنْ مِينَاءِ الْبَصْرَةِ تَدْفَعُهُ فَوْقَ الْمَاءِ رِيحٌ طَيِّبَةٌ فَوَقَفْتُ أَرْقُبُ الشَّاطِئَ وَهُوَ يَتَبَعْدُ وَيَخْتَفِي مَعَ اخْتِفَاءِ قُرْصِ الشَّمْسِ الذَّهَبِيَّةِ وَجَالَتْ بِخَاطِرِي أَفْكَارٌ كَثِيرَةٌ هِيَ مَزِيجٌ مِنَ النَّشْوَةِ وَالرَّهْبَةِ. فَقَدْ كُنْتُ سَعِيدًا لِعَوْدَتِي إِلَى الْبَحْرِ مَرَّةً أُخْرَى. أَمَا رَهْبَتِي فَقَدْ كَانَتْ مِنَ الْمَجْهُولِ الَّذِي يَنْتَظِرُنَا. أَسْدَلُ اللَّيْلُ سِتَارَهُ عَلَى الْكَوْنِ فَأَوَيْتُ إِلَى فِرَاشِي وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي لِنَوْمٍ عَمِيقٍ



حَتَّى الصَّبَاحِ . وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي كَانَ كُلُّ شَيْءٍ هَادئٌ وَكُلُّ فَرْدٍ مِنَ الْبَحَّارَةِ فِي مَكَانِهِ
يُؤَدِّي عَمَلَهُ وَلَمْ يَحْدُثْ مَا يُعَكِّرُ صَفْوَانَا .

وَهَكَذَا كَانَ الْحَالُ بَعْدَ أَيَّامٍ حَتَّى لَاحَتْ لَنَا عَلَى الْبُعْدِ جَزِيرَةٌ اتَّجَهْنَا إِلَيْهَا وَنَزَلْنَا
عَلَيْهَا فَرَأَيْنَاهَا عَامِرَةً بِالسَّكَنِ وَمَكْنَنًا عَلَى شَاطِئِهَا بَضْعَةٌ أَيَّامٍ ثُمَّ رَحَلْنَا عَنْهَا بَعْدَ أَنْ تَزَوَّدْنَا
مِنْهَا بِمَا يَلْزَمُ . وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ لَاحَتْ لَنَا جَزِيرَةٌ أُخْرَى مَكْنَنًا فِيهَا أَيْضًا لِبَضْعَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ رَحَلْنَا ،
وَكَانَ قَدْ مَضَى عَلَى سَفَرِنَا مُنْذُ خُرُوجِنَا مِنَ الْبَصْرَةِ حَوَالِي شَهْرَيْنِ . وَفِي مَسَاءِ أَحَدِ الْأَيَّامِ
فُوجِئْتُ بِالرَّبَّانِ مُتَعَبًا وَقَدْ نَالَ مِنْهُ الْإِعْيَاءُ وَظَهَرَ عَلَيْهِ الْمَرَضُ وَلَمْ يَعُدْ قَادِرًا عَلَى قِيَادَةِ
الْمَرْكَبِ . فَأَخَذْتُ مَكَانَهُ وَطَلَبْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَسْتَرِيحَ فِي فِرَاشِهِ . وَوَقَفْتُ أَنَا عَلَى الدَّفْقَةِ
وَمَضَى وَقْتُ قَصِيرٍ فَحَضَرَ أَحَدُ الْبَحَّارَةِ يَقُولُ لِي : - إِنَّ الرَّبَّانَ فِي حَالَةٍ سَيِّئَةٍ وَهُوَ يَطْلُبُنِي .
فَتَرَكْتُ مَكَانِي لِشَخْصٍ تَخَرَّ وَأَسْرَعْتُ إِلَى الرَّجُلِ فَرَأَيْتُهُ فِي حَالَةٍ مِنَ الْإِعْيَاءِ وَكَأَنَّهُ
يَحْتَضِرُ . وَلَمَّا رَنِي قَالَ : - اسْتَمِعْ لِمَا سَأَقُولُهُ لَكَ الْآنَ . ثُمَّ أَشَارَ إِلَى صُنْدُوقٍ صَغِيرٍ
فَأَحْضَرْتُهُ إِلَيْهِ . فَقَالَ : - خُذْ هَذَا الصُّنْدُوقَ ، فِي دَخْلِهِ وَرَقَةٌ رَسَمْتُ فِيهَا خَرِيطَةً لِكَنْزٍ
مَدْفُونٍ فِي مَنَازِلِي . وَلَيْسَ لِي فِي الدُّنْيَا مِنْ وَرِثٍ . وَأَنْتَ رَجُلٌ طَيِّبٌ صَاحِبُ مَرْوَةٍ .
فُخِذْ كَيْ مَا تَجِدُهُ عِنْدِي وَهُوَ بِلُكِّ لَكَ ، وَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ . وَلَمْ يَزِدِ الرَّجُلُ عَلَى قَوْلِهِ
بِكَلِمَةٍ حَتَّى فَاضَتْ رَوْحُهُ إِلَى بَارِئِهِ . وَكَانَ يَقِفُ بِجَوَارِي أَحَدِ الْبَحَّارَةِ يَسْتَمِعُ إِلَى كَلَامِ
الرَّجُلِ فَاسْرَعَ يُخْبِرُ زُمَلَاءَهُ بِمَوْتِهِ بَيْنَمَا جَلَسْتُ أَنَا بِجَوَارِهِ حَزِينًا أَتَعَجَّبُ لِحَالِ الدُّنْيَا .
فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَتَمَنَّى الرَّحِيلَ عَنِ الْبَصْرَةِ وَيَنْشُدُ لِعَوْدَةِ إِلَى بِلَادِهِ لِيَسْتَرِيحَ وَيَنْعَمَ بِكَنْزِهِ .
وَلَكِنَّ إِرَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى فَوْقَ مَا نُرِيدُ وَنَتَمَنَّى . وَهَا هُوَ قَدْ غَادَرَ الدُّنْيَا مُفْلِسًا وَلَمْ يَخُذْ مَعَهُ
شَيْئًا ، وَسُبْحَانَ مَنْ لَهُ الدَّوَامُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي كُنَّا قَدْ جَهَّزْنَا الرَّجُلَ وَصَعِدْنَا بِجُثْمَانِهِ إِلَى ظَهْرِ الْمَرْكَبِ ثُمَّ
صَلَّيْنَا عَلَيْهِ وَأَلْقَيْنَاهُ إِلَى الْبَحْرِ كَمَا هُوَ مُتَّبِعٌ فِي مِثْلِ هَذِهِ الظُّرُوفِ . إِذَا لَا يَصِحُّ أَنْ يَتَّقَى

جُثْمَانُهُ فَيَتَعَفَّنَ وَيَنْشُرَ وَبَاءً. وَسَالَتْ مِنْ عَيْنِي الدُّمُوعُ وَأَنَا أَرَى جَسَدَهُ يَغُوصُ إِلَى الْقَاعِ لِيَكُونَ مُسْتَقَرَّهُ وَمَثْوَاهُ الْأَخِيرَ، أَوْ يَكُونَ طَعَامًا لِلْأَسْمَاكِ وَالْحَيْتَانِ. وَنَظَرْتُ إِلَى الْبَحَارَةِ فَمَا رَأَيْتُ فِي وُجُوهِهِمْ أَيْ مَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِيرِ الْحُزَنِ. بَلْ عَلَى الْعَكْسِ رُبَّمَا كَانُوا يَبْدُونَ سَعْدَاءً. وَرُبَّمَا يَكُونُونَ قَدْ ضَادَفُوا هَذَا الْأَمْرَ كَثِيرًا فَغَدَتْ قُلُوبُهُمْ بِلَا عَاطِفَةٍ.

مَصَى النَّهَارَ بِكَامِلِهِ وَأَنَا حَزِينٌ وَفَقَدْتُ شَهِيَّتِي لِلطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاسْتَلْقَيْتُ عَلَى فِرَاشِي مَهْمُومًا أَفْكَرُ فِي مَا يَجِبُ أَنْ أَفْعَلَهُ هَذَا الصُّنْدُوقُ. وَمَهْلُ أَذْهَبُ إِلَى حَيْثُ أُرِيدُ أَوَّلًا أَمْ أَذْهَبُ إِلَى بَلَدَةِ الرَّجُلِ لِأَخْرِجَ كَنْزَهُ؟ لَكِنِّي قُلْتُ فِي نَفْسِي إِنِّي لَسْتُ بِحَاجَةٍ إِلَى مَالٍ أَوْ كُنُوزٍ. وَلَنْ أَفْعَلَ إِلَّا مَا كُنْتُ عَزَمْتُ عَلَيْهِ وَقَدْ رَجَيْتُ وَلَنْ أَذْهَبَ إِلَى أَيْ بَلَدٍ آخَرَ. وَبَيْنَمَا أَنَا فِي الْفِرَاشِ أَفْكَرُ إِذْ رَأَيْتُ جَمْعًا مِنَ الْبَحَارَةِ يَقْتَحِمُونَ الْمَكَانَ وَبِأَيْدِيهِمْ السُّيُوفُ وَالْخَنَاجِرُ وَأَمْسَكُوا بِي وَأَنَّنِي فِي دَهْشَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ وَفِي خَوْفٍ مِمَّا يَفْعَلُونَ. وَصَعِدُوا بِي إِلَى سَطْحِ الْمَرْكَبِ وَوَقَفُوا يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرِي. فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ نَقْلُهُ وَآخَرُ يَقُولُ بَلْ نُبْقِي بِهِ فِي النَّحْرِ فَصَرَخْتُ فِيهِمْ وَقُلْتُ لَهُمْ: - مَا هَذَا الَّذِي تَفْعَلُونَ بِي؟ وَلِمَاذَا تُرِيدُونَ قَتْلِي؟! فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: - نُرِيدُ أَنْ نَتَخَلَّصَ مِنْكَ وَنَأْخُذَ الصُّنْدُوقَ الَّذِي فِيهِ خَرِيطَةُ كَنْزِ لَرُبَّانٍ وَنَأْخُذَ الْمَرْكَبَ وَنَذْهَبَ لِإِحْضَارِهِ وَنَقْتَسِمَهُ بَيْنَنَا. فَقُلْتُ لَهُمْ: - الصُّنْدُوقُ لَكُمْ خُذُوهُ وَأَذْهَبُوا بِي إِلَى حَيْثُ أُرِيدُ ثُمَّ أَذْهَبُوا بَعْدَ ذَلِكَ بِالْمَرْكَبِ إِلَى حَيْثُ تُرِيدُونَ. فَقَالُوا: - إِذَا ذَهَبْنَا بِكَ إِلَى حَيْثُ تُرِيدُ فَسَوْفَ تَفْضَحُنَا هُنَاكَ وَيَشْقُونَا قَبْلَ أَنْ نَرَحَلَ. وَلِذَلِكَ فَلَيْسَ أَمْنًا إِلَّا أَنْ نَتَخَلَّصَ مِنْكَ الْآنَ. فَقُلْتُ لَهُمْ: - حَرَامٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَفْعَلُوا بِي هَذَا وَأَنَا لَمْ أُسِءْ إِلَى أَحَدِكُمْ وَبِئْسَ لِي ذَنْبٌ فِي أَنْ الرَّجُلَ قَدْ سَلَّمَنِي الصُّنْدُوقَ؛ فَبِنِي لَا حَاجَةَ بِي إِلَى هَذَا الْكَثَرِ، فَخُذُوا كُلَّ شَيْءٍ وَبِمَكْنٍ أَنْ أُعْطِيَكُمْ أَكْثَرَ مِنْهُ فَإِنِّي رَجُلٌ غَنِيٌّ أَمْلِكُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْكُنُوزِ. فَقَالُوا: - لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَتَخَلَّصَ مِنْكَ حَتَّى لَا تُفْشِي أَمْرَنَا وَنَمُوتَ نَحْنُ. وَمَا شَعَرْتُ إِلَّا وَقَدْ حَمَلُونِي وَأَلْقَوْا بِي مِنْ فَوْقِ



مَكَانِي وَقُمْتُ أَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ أَحْتَمِي بِهِ مِنَ الْبَرْدِ فَلَمْ أَجِدْ. فَعُدْتُ إِلَى مَلَابِسِي
وَعَصَرْتُهَا مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ وَضَعْتُهَا عَلَى جَسَدِي الْمَرْتَجِفِ وَأَسْلَمْتُ أَمْرِي لِلَّهِ. وَكَانَ النَّهَارُ
عَلَى وَشِكِ الطُّلُوعِ فَصَبَرْتُ عَلَى مَا أَنَا فِيهِ حَتَّى أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ وَنَفَذْتُ أَشْعَثَهَا إِلَى
جَسَدِي فَأَحْسَسْتُ بِالذَّفءِ يَسْرِي فِي أَوْصَالِي شَيْئًا فَشِيئًا - وَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى كُنْتُ
فِي أَحْسَنِ حَالٍ وَأَخَذْتُ أَحْوَلَ بَبْصَرِي فِي مَا حَوْلِي وَأَتَسَاءَلُ عَمَّا إِذَا كَانَ هُنَاكَ سُكَّانُ
فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَمْ أَنَّهَا خَالِيَةٌ. وَوَجَدْتَنِي فِي حَاجَةٍ مُلِحَّةٍ إِلَى النَّوْمِ فَأَغْمَضْتُ عَيْنَيَّ
وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي لَهُ. أَفَقْتُ مِنْ نَوْمِي عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَكُنْتُ فِي غِيَةِ الْجُوعِ
فَنَظَرْتُ إِلَى دَاخِلِ الْجَزِيرَةِ حَيْثُ كَانَتْ تَغْطِيهَا الْأَشْجَارُ الْبَاسِقَةُ وَنَخِيلُ الْجَوْزِ الَّذِي
وَجَدْتُ تَحْتَهُ الْكَثِيرَ مِنْ جَوْزِ الْهِنْدِ. فَأَخَذْتُ مِنْهُ عَدَدًا وَبَعْدَمَا شَرِبْتُ مَاءَهُ وَأَكَلْتُ مِنْهُ
حَتَّى أَحْسَسْتُ بِالشَّبَعِ وَكَانَ الظَّلَامُ قَدْ حَجَبَ عَنِّي رُؤْيَا مَا بِدَاخِلِ الْجَزِيرَةِ فَجَلَسْتُ
عَلَى الشَّاطِئِ أَرْقُبُ الْبَحْرَ وَأَتَنَفَّسُ هَوَاءَهُ وَأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى نَجَاتِي مِنْهُ. وَلَمْ أَشْعُرْ بِمُرُورِ
الْوَقْتِ فَقَدْ غَلَبَنِي النَّوْمُ.

فِي الْيَوْمِ التَّالِي وَبَعْدَ أَنْ اسْتَيْقَظْتُ مِنْ نَوْمِي قَرَّرْتُ أَنْ أَسْلُلَ إِلَى دَاخِلِ الْجَزِيرَةِ
لَأَرَى مَا إِذَا كَانَتْ مَسْكُونَةً أَوْ خَاوِيَةً. وَمَا أَنْ تَرَكْتُ الشَّاطِئَ حَتَّى وَجَدْتُ نَفْسِي بَيْنَ
الْأُدْغَالِ وَالْأَحْرَاشِ لَا أَسْتَطِيعُ السَّيْرَ لَا بِصُعُوبَةٍ لِتَشَابُكِ الْأَغْصَانِ. وَتَمَزَّقَتْ مَلَابِسِي
مِنْ كَثْرَةِ الْأَشْوَالِ كَمَا جُرِحَ ذِرَاعِي. وَأَصْبَحْتُ فِي وَسْطِ هَذِهِ الْأُدْغَالِ كَالْتَّائِهَةِ فِي
الصَّحْرَاءِ. فَلَمْ أَعُدْ أَدْرِي كَيْفَ أَخْرُجُ مِنْهَا أَوْ أَعْرِفُ كَيْفَ أَعُودُ إِلَى الشَّاطِئِ مَرَّةً
أُخْرَى. وَخِيلَ إِلَيَّ أَنِّي إِنَّمَا أَدُورُ حَوْلَ نَفْسِي لِتَشَابُهِ الْأَشْجَارِ وَالْأَغْصَانِ. وَظَلَلْتُ هَكَذَا
طَوَالَ النَّهَارِ أَسْلُلُ مِنْ بَيْنِ الْأَغْصَانِ وَأَتَغَذَّى بِمَا أَلْقَاهُ مِنَ الثَّمَارِ حَتَّى نَالَ مِنِّي التَّعَبُ
فَجَلَسْتُ فَوْقَ عُشْبٍ أَخْضَرَ وَكَدْتُ أَسْتَلْقِي لِأَنَّمْ لَوْلَا أَنْ رَأَيْتُ شَيْئًا يَتَحَرَّكُ فَأَمَعَنْتُ النَّظَرَ
إِلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ ثُعْبَانًا بَشَعَ الْمَنْظَرِ طَوِيلَ الْحَجْمِ مِمَّا جَعَلَنِي أَقْفَرُ مِنْ مَكَانِي وَأَعْدُو بَيْنَ



الأشجارِ غَيْرَ عَابِيٍّ بِمَلَأْسِي الَّتِي تَمَزَّقَتْ مِنْ تَشَابُكِ الْأَغْصَانِ وَأَحْسَسْتُ بِالدَّمَاءِ تَسِيلُ
 مِنْ جَسَدِي كُلِّهِ. فَأَخَذْتُ أَنْظُرُ إِلَى أَعْلَى الْأَشْجَارِ الَّتِي تَشَابَكَتْ فُرُوعُهَا وَأُورَاقُهَا حَتَّى
 حَجَبَتْ عَنَّا وَعَنِ الْمَكَانِ شِعَاعَ الشَّمْسِ وَضَوْءَ السَّمَاءِ وَأَصْبَحْتُ أُجْرِي بِلا هَدَفٍ وَأَعْدُو
 بِلا سَبَبٍ حَتَّى تَلَقَّانِي مَا هُوَ أَذْهَى وَأَعْظَمُ مِنْهُ؛ حَيَوَانٌ كَبِيرٌ يَشْبَهُ الْقِطَّ، أَسْوَدُ اللَّوْنِ وَعَيْنَاهُ
 تَقْدَحَانِ شَرًّا وَتُخْرِجُ جَمْرًا. فَتَحَ فَمُهُ مُزْمَجِرًا فَظَهَرَتْ أُنْيَابُهُ كَذَوَابَاتِ السُّيُوفِ وَأَسْنَنُهُ

الرَّماحِ فامتدَّت يَدَيَّ فِي سُرْعَةٍ خَاطِفَةٍ وَاخْتَطَفْتُ خِنْجَرِي مِنْ وَسْطِي وَصَرَخْتُ فِيهِ بِلَا
وَعِيٍّ صَرَخَةً هَائِلَةً جَعَلَتْهُ يَقِفُ فِي مَكَانِهِ مُزْمَجراً يَنْتَظِرُ مِنِّي أَيَّ بَادِرَةٍ خَوْفٍ حَتَّى يَنْقُضَ
عَلَيَّ عُقْبِي . لَكِنِّي كُنْتُ أَشْبَهُ بِالْمَجْنُونِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْخَوْفَ وَلَا يَأْبَهُ لِلْأَخْطَارِ . مِمَّا
جَعَلَ الْقِطْعَ يَتَرَاوَعُ إِنِّي الْخَلْفِ أَمَامَ نَظْرَاتِي الْقَاسِيَةِ ثُمَّ يَفِرُّ هَارِباً وَقَدْ آثَرَ السَّلَامَةَ . أَمَّا أَنَا
فَقَدْ جَلَسْتُ فِي مَكَانِي مِنْ هَوْلِ الْمُفَاجَأَةِ وَأَحْسَسْتُ بَأَنِّ قَدَمِي لَمْ تَعُودَا قَادِرَتَيْنِ عَلَى
حَمْلِي . لَكِنِّي تَحَامَلْتُ عَلَى نَفْسِي وَنَهَضْتُ وَتَرَكْتُ مَكَانِي خَوْفاً مِنْ عَوْدَةِ هَذَا الْحَيَوَانِ
اللَّعِينِ أَوْ أَيِّ حَيَوَانٍ آخَرَ . وَعُدْتُ مَرَّةً أُخْرَى أَبْحَثُ عَنْ مَخْرَجٍ لِي مِنْ بَيْنِ الْأَشْجَارِ وَمِنْ
تِلْكَ الْغَايَةِ الْوَاسِعَةِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا .

وَأخيراً اسْتَطَعْتُ أَنْ تُعْثَرَ عَلَى مَجْرَى مَاءٍ يَنْحَدِرُ تَيَّارُهُ بِسُرْعَةٍ وَقُوَّةٍ فَاتَّخَذْتُ طَرِيقِي
عَلَى شَاطِئِهِ مُتَّبِعاً مَصْدَرَ انْدِفَاعِهِ حَتَّى شَاهَدْتُ شَلالاً عَظِيماً فَتَسَلَّقْتُ الصَّخُورَ حَتَّى
وَصَلْتُ إِلَى أَعْلَاهُ . وَمِنْ هَذَا الْمَكَانِ أَخَذْتُ أَنْظُرَ إِلَى الْجَزِيرَةِ الَّتِي بَدَتْ لِي عَالِماً
كَبِيراً . وَلَكِنْ لَا أَرَى فِيهِ أَحَداً مِنَ النَّاسِ . وَلَوْ أَنِّي أَشْعُرُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِي أَنَّهُ لَيْسَ خَالِياً
مِنْهُمْ . فَطَالَمَا أَنَّ هُنَاكَ حَيَوَانَاتٍ تَعِيشُ عَلَيْهَا فَفِيهَا كُلُّ مُقَوِّمَاتِ الْحَيَاةِ
لِلْبَشَرِ . . وَلَكِنْ أَيْنَ هُمْ ؟!



لَا بُدَّ أَنَّهُمْ وَرَاءَ هَذِهِ الْجِبَالِ الْبَعِيدَةِ الَّتِي تَرْتَفِعُ قِمَمُهَا فَوْقَ السَّحَابِ
لِذَا كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَصِلَ أَوَّلًا إِلَى هَذِهِ الْجِبَالِ وَأَصْعَدَ إِلَى نِهَايَتِهَا ثُمَّ
أَنْحَدِرَ مِنْهَا إِلَى النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى لِأَكْتَشِفَ مَا يَكْمُرُ خَلْفَهَا . لَكِنْ
فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ كُنْتُ مُتَعَباً وَجَائِعاً فَجَلَسْتُ أُسْتَرِيحُ
وَفَكَّرْتُ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَكُلُهُ . وَلَمْ أَجِدْ بِي رَغْبَةً فِي أَكْلِ الثَّمَارِ .
وَإِنَّمَا كُنْتُ أَتَمَنَّى أَنْ أَكُلَ لَحْماً أَوْ سَمَكاً .

وَسَلَّمَ

وَحَيْثُ أَنَّ اللَّحْمَ مُتَعَدِّرُ الْآنَ فَالَسَّمْتُ أَقْرَبَ . وَهَآ هُوَ النَّهْرُ فِي أَسْفَلِ . وَشَاهَدْتُ السَّمَكَ
يَسْبُحُ بَيْنَ صَخْرِهِ . فَمَا عَلَيَّ إِلَّا أَنْ أُحَاوِلَ أَصْطِيَادَهُ . وَبَدَأْتُ فِي النُّزُولِ مِنْ قِمَّةِ
الشَّلَالِ إِلَى حَيْثُ يَجْرِي النَّهْرُ وَتَنَاوَلْتُ قُرْعًا مُسْتَقِيمًا مِنْ شَجَرَةٍ وَأَعْمَلْتُ خِنْجَرِي فِي
أَحَدِ طَرَفَيْهِ حَتَّى صَارَ مُدْبَّبًا وَاسْتَعْمَلْتُهُ كَحَرَبَةٍ فِي صَيْدِ السَّمَكِ . وَبَعْدَ مَجْهُودٍ اسْتَطَعْتُ
أَنْ أَفُوزَ بِوَجْبَةٍ مُشْبَعَةٍ وَشَهِيَّةٍ .

مَضَتْ عِدَّةُ أَيَّامٍ وَأَنَا أَدُورُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ وَأُجُوبُ الْأَرْضَ دَاخِلَ الْجَزِيرَةِ حَتَّى
اسْتَطَعْتُ أَنْ أَعْرِفَ عَلَى بَعْضِ أَمَاكِنَ فِيهَا وَأَتَّخِذْتُ لِي مِنْهَا مَكَانًا آمِنًا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ
الْمُقْتَرِسَةِ حَتَّى صِفْتُ ذُرْعًا بَوَحْدَتِي وَقَرَّرْتُ أَنْ أَرْحَلَ إِنِّي مَا وَرَاءَ هَذِهِ الْجِبَالِ الْبَعِيدَةِ
لَعَلِّي أَجِدُ هُنَاكَ حَيَاةً أُخْرَى وَأَعْتَرَّ عَلَى بَشَرٍ مِثْلِي .

وَذَاتَ صَبَاحٍ حَمَلْتُ مَعِيَ بَعْضَ الرِّادِ وَبَدَأْتُ لِمَسِيرٍ مِنَ الصَّبَاحِ حَتَّى الْمَسَاءِ .
ثُمَّ وَاصَلْتُ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ . . وَقَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ كُنْتُ أَقِفُ أَسْفَلَ الْجَبَلِ أَتَطَّلُعُ
إِلَى أَعْلَاهُ الَّذِي يُنَاطِحُ السَّحَابَ . وَلَمْ يَكُنْ مِنْ لِمُمْكِنٍ أَنْ أَبْدَأُ فِي الصُّعُودِ فِي نَفْسِ
الْيَوْمِ فَاسْتَرَحْتُ فِي مَكَانِي حَتَّى الصَّبَاحِ . وَبَعْدَهَا بَدَأْتُ الرُّحْلَةَ .

كَانَ الْجَبَلُ مَلِئًا بِالصُّخُورِ الْوَعْرَةِ وَالْمَلَسَاءِ مِمَّا سَبَّبَ لِي تَعَبًا شَدِيدًا وَجُهْدًا
جَعَلَنِي اسْتَرِيحُ بَيْنَ وَقْتٍ وَآخَرَ . وَمَضَى الْيَوْمُ وَمَا قَطَعْتُ فِيهِ إِلَّا قَلِيلًا . وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ
وَاصَلْتُ الصُّعُودَ مِنْ شُرُوقِ الشَّمْسِ حَتَّى غُرُوبِهَا وَنَظَرْتُ إِلَى أَعْلَى فَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ
أَرَى نِهَآيَةً . وَكَانَ مَا مَعِيَ مِنَ الطَّعَامِ قَدْ نَفَذَ فَجَلَسْتُ فِي مَكَانِي مِنْهُكَ الْقَوَى خَاوِي
الْبَطْنِ يَائِسًا مِنْ مُوَاصَلَةِ الصُّعُودِ . وَحَاوَلْتُ النَّوْمَ فَلَمْ تَغْمُضْ عَيْنَايَ مِنْ كَثَرَةِ الْحُزَنِ
وَشِدَّةِ الْجُوعِ . فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ صَخْرَةٍ أَتَّقِي بِهَا مِنَ الرِّيَّاحِ الْبَارِدَةِ فِي هَذَا الارتفاعِ مِنَ
الْجَبَلِ وَحَتَّى أَكُونَ فِي مَأْمَنٍ مِنَ السَّقُوطِ . وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ أَقْبَلَ بِظَلَامِهِ فَسَكَنَ كُلُّ شَيْءٍ ،
إِلَّا صَفِيرَ الرِّيَّاحِ . وَأَخِيرًا بَدَأَ لَنَوْمٍ يَدَاعِبُ جُفُونِي فَاسْتَلَقَيْتُ فِي مَكَانِي وَبَدَأْتُ أَغْمِضُ

عَيْنِي لِكُنِّي سَمِعْتُ أَصْوَاتًا قَرِيبَةً مِنِّي وَشَعَرْتُ بِحَرَكَةٍ غَرِيبَةٍ حَوْلِي فَنَهَضْتُ فِرْعَاءً وَكَتَمْتُ
أَنْفَاسِي وَأَحْدَثْتُ أَحَدَقُ بِعَيْنِي نَاجِيَةً هَذِهِ الْأَصْوَاتِ فَرَأَيْتُ وَيَا لَهَوْلٍ مَا رَأَيْتُ. رَأَيْتُ
أَجْسَامًا تَتَسَلَّلُ وَتَقْفُزُ مِنْ فَوْقِ الصُّخُورِ فِي خِفَّةٍ كَخِفَةِ الْقُرُودِ إِلَّا أَنَّهُمْ يَسِيرُونَ عَلَى
أَرْجُلِهِمْ فَقَطْ.

انْكَمَشْتُ فِي مَكَانِي وَأَحْدَثَنِي رَجْفَةٌ مِنَ الْخَوْفِ وَاحْتَرْتُ فِي أَمْرِهِمْ. أَهْمُ بَشَرٌ أَمْ
حَيَوَانَاتٌ؟ وَبَعْدَ أَنْ مَضَوْا بَعِيدًا عَنِّي جَلَسْتُ خَائِفًا لَا أَدْرِي مَاذَا أَفْعَلُ أَوْ إِلَى أَيْنَ
أَذْهَبُ؟. فَنَنِي فِي مَكَانِي مُعَلَّقُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. فَلَا سَبِيلَ إِلَى النَّزُولِ. وَلَا مَنَاصَ
مِنَ الصُّعُودِ. وَلَا فِرَارَ مِنْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ. وَذَهَبَ النَّوْمُ عَنِّي وَحَلَّ الْخَوْفُ وَالسُّهْدُ
وَأَصْبَحْتُ لَا حَوْلَ لِي وَلَا قُوَّةَ فَأَسْلَمْتُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ..

مَضَى عَلَى حَالِي هَذَا وَقْتُ كَأَنَّهُ ذَهَرْتُ ثُمَّ سَمِعْتُ حَرَكَةً أَقْدَامِهِمْ مَرَّةً أُخْرَى فَاخْتَبَأْتُ
خَلْفَ الصَّخْرَةِ وَأَحْسَسْتُ بِقَلْبِي يَكْدُ يَقْفُزُ مِنْ جَسَدِي مِنْ سُرْعَةِ الْخَفَقَانِ وَمِنْ شِدَّةِ
خَوْفِي حَتَّى مَرُّوا مِنْ أَمَامِي وَهُمْ يَحْمِلُونَ عَلَى ظُهُورِهِمْ ظَبَاءً وَوَعُولًا وَأَشْيَاءَ أُخْرَى.
فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ أَدَسٌ وَلَيْسُوا حَيَوَانَاتٍ. وَجَعَلْتُ أَتَسَاءَلُ فِيمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْدُثَ لَوْ كَانُوا
رَأُونِي. لَقَدْ سَبَقَ وَرَأَيْتُ أَدَسًا مِنْ آكِلِي لُحُومِ الْبَشَرِ فِي رِحَالَتِي السَّابِقَةِ. فَهَلْ هَؤُلَاءِ
مِنْهُمْ؟ لَكِنِّي رَأَيْتُ يَصْطَادُونَ الْحَيَوَانَاتِ لِطَعَامِهِمْ فَكَيْفَ يَكُونُونَ مِنْ آكِلِي الْبَشَرِ؟ لَكِنَّ
مَظْهَرَهُمْ لَا يَتَّبَعُ الطَّمَائِنَةَ فِي نَفْسِي. فَهُمْ مِثْلُ الْإِنْسَانِ الْحَجَرِيِّ أَوْ الْإِنْسَانِ الْغَابِيَةِ كَمَا
سَبَقَ أَنْ سَمِعْتُ وَقَرَأْتُ عَنْهُمْ فِي الْعُهُودِ الْمَاضِيَةِ. فَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونُوا فِي هَذَا
الْعَصْرِ. وَلَمْ لَا وَقَدْ رَأَيْتُ فِي بَعْضِ أُسْفَرِي حَيَوَانَاتٍ مَا قَبْلَ التَّارِيخِ. بَلْ لِي مَعَ الرَّخِّ
رِحْلَةً مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ.

كُلُّ هَذِهِ الْأَفْكَارِ كُنْتُ أَحْدَثُ بِهَا نَفْسِي وَأَنَا قَاعٌ فِي مَكَانِي أَجْلِسُ الْقُرُفَصَاءَ مِنْ
شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَالْبَرْدِ. وَفِي النِّهَايَةِ أَغْمَضْتُ عَيْنِي بَعْدَ أَنْ غَلَبَنِي النَّوْمُ حَتَّى

استيقظت مع الصّباح. ولم تكن لديّ قُدرةٌ على مواصلة الصُّعود لِكُنِّي تحاملتُ على
نَفْسي وقررتُ أن أواصلَ مَهْمَا كَانَ الأمرُ حتّى لا أرى هؤلاء النّاس. وأخذتُ أضعدُ بِطِيءٍ
وأنا أرقُبُ ما حولي مع كلِّ خُطوةٍ أخطوها وأزهفُ السَّمْعَ حتّى لا أفاجأ بشيء. ولكنّ
كم يقولون إنّ الحذرَ لا يَمْنَعُ القَدْر. فإذا بي في لَمَحَةٍ مِنَ البَصَرِ أجدني مُحاطاً بهذه
الكائناتِ الغريبةِ مِنَ البَشَر. فهُم أناسٌ أقربُ إلى القُرودِ في شَكْلِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ، غيرَ
أنَّهُمْ قصيروُ القامةِ يُمَسِّكونَ هِرَاوَاتٍ غليظةً في أيديهِمْ. وتقدّمَ مِنِّي أحدُهُم فركلتهُ
بِقَدَمي في بَطْنِهِ رَكْلَةً قويّةً جعلتهُ يَهْوِي مِنْ فَوْقِ الجبلِ ثُمَّ أهويتُ بِقُبْضَتِي عَلَى وَجْهِ
الآخر فسقطَ هِرَاوَتُهُ تَحْتَ قَدَمي فالتقطتها بِسرعةٍ بِيَدَي اليُسرى وأخرجتُ بِالْيَمْنَى
خِنْجَرِي وكانت مَعْرَكَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ كَتَبَ اللَّهُ لِي النّصرَ فِيهِمْ ففروا مِنْ أَمَامِي بَعْدَ
أن سقطَ مِنْهُم مَن سَقَطَ وهوى مِنْ فَوْقِ الجبلِ مَنْ هوى. وانطلقوا يَعْدُونَ بَعِيداً عَنِّي
وهُم يَصْرُخُونَ صَرَخَاتٍ مُزَعِجَةٍ وَمُفْزَعَةٍ. في تلكَ اللَّحْظَةِ أَحْسَسْتُ بِأَنِّي إنسانٌ قويٌّ لا
يُخِيفُنِي جَيْشٌ مِنْهُمْ. فوقفتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ رافعاً الهِرَاوَةَ يَدٍ وَمُمَسِّكاً الخِنْجَرَ بِالْيَدِ
الْأُخْرَى. بينما هُم يَقْفِزُونَ مِنْ فَوْقِ الصّخورِ كَالقُرودِ المذعورة. وعلى بُعدِ خُطَوَتَيْنِ
رَأَيْتُ فَتْحَةً فِي الجبلِ فَعَرَفْتُ أَنَّهَا بَابُ كَهْفِهِم الَّذِي يَسْكُنُونَ. فوقفتُ عَلَى بَابِهِ قَلِيلاً
لأنظرَ ما بِدَاخِلِهِ. فوجدتُ بَعْضاً مِنْ لَحْمِ الطَّبَّاءِ مَشْوِياً فَأَخَذْتُ مِنْهُ كَمِيَّةً كَبِيرَةً وَخَرَجْتُ
إِلَى بَابِ الكَهْفِ وَجَلَسْتُ لِأَلْتِهَمَهُ لَتِهَاماً مِنْ شِدَّةِ جُوعِي وَنَشْوَةِ نَصْرِي. وَمِنَ الغَرِيبِ
نَبِي رَأَيْتُهُمْ وَقَدْ عَادُوا وَوَقَفُوا بَعِيداً يَرْقُبُونِي وَلَا يَجْرؤونَ عَلَى أَنْ يَقْتَرِبُوا. وَكُنْتُ بَيْنَ
لَحِينِ وَالْآخِرِ أَقْفُ وَأَرْفَعُ يَدِي بِالْهِرَاوَةِ فَيُسْرِعُونَ بِالْفِرَارِ ثُمَّ يَتَسَلَّلُونَ عَائِدِينَ إِلَى مَكَانِهِمْ
مَرَّةً أُخْرَى. وَوَجَدْتُ فِي دَاخِلِي سَعَادَةً غَامِرَةً وَحَسَسْتُ وَكَأَنِّي أَقْوَى إنسانٍ فِي تلكَ
الجزيرة. بَلْ أَنِّي مَلِكُهَا وَمَالِكُهَا. وَلَكِنْ هَذَا الإحساسُ تَبَدَّدَ بِمَجَرَّدِ أَنْ تَذَكَّرْتُ أَنَّي
يَجِبُ أَنْ أُوَاصِلَ الصُّعُودَ إِلَى نَهَايَةِ هَذَا الجبلِ وَالفِرَارَ مِنْ هَذِهِ الكائناتِ البَشَعَةِ الَّتِي لَا



يُمْكِنُ أَنْ أَعِيشَ مَعَهَا حَتَّى وَلَوْ كُنْتُ مُلْكًا عَلَيْهَا. وَلِهَذَا تَرَكْتُهُمْ وَتَرَكْتُ مَكَانِي وَبَدَأْتُ
أَعُودُ إِلَى تَسْلُقِ الْجَبَلِ مَرَّةً أُخْرَى حَتَّى وَصَلْتُ فِي النِّهَايَةِ إِلَى قِمَّتِهِ وَوَقَفْتُ مَرْهُوًّا
بِأَنْتِصَارِي عَيْنِهِ وَكَأَنِّي كُنْتُ فِي سَبَاقٍ مَعَهُ وَقَهْرْتُهُ. ثُمَّ جَلَسْتُ لِأَسْتَرِيحَ مِنْ عَنَاءِ تَعَبِي
وَمَعَ جُلُوسِي تَبَدَّدَ غُرُورِي وَلَمْ يَبْعُدْ لَدَيَّ مَا أَزْهَوُ بِهِ. فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ فَوْقِ الْجَبَلِ الْبَحْرَ
عَلَى النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى مِنْهُ وَلَيْسَ هُنَاكَ سِوَاهُ. وَجَلَسْتُ مَهْمُومًا أَفَكِّرُ فِي مَا أَفْعَلُ. هَلْ أَعُودُ
مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُ أَمْ أُنْحَدِرُ نَاحِيَةَ الْبَحْرِ وَأَعِيشُ فَوْقَ صَخُورِهِ بِلَا طَعَامٍ أَوْ مَاءٍ؟ وَلَمْ يَكُنْ
أَمَامِي مَا أَفْعَلُهُ إِلَّا أَنْ أَتْرَكَ أَمْرِي إِلَى الصَّبَاحِ بَعْدَ أَنْ أَوْشَكَتِ الشَّمْسُ عَلَى الْمَغِيبِ
وَبَعْدَ أَنْ قَضَيْتُ لَيْلَةَ الْأَمْسِ كُلَّهَا سَاهِرًا. وَمَا أَنْ أَسْلَمْتُ نَفْسِي لِلنُّومِ وَمَا كَادَتْ عَيْنَايَ
تَغْمُضَانِ حَتَّى سَمِعْتُ حَرَكَةً جَعَلَتْنِي أَهْبُ مِنْ مَكَانِي فَرَعَا بَعْدَ أَنْ رَأَيْتُ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ
تَتَقَدَّمُ مِنِّي مَرَّةً أُخْرَى. فَأَخْرَجْتُ خِنْجَرِي بِسُرْعَةٍ وَأَخَذْتُ لُوحَ بِهِ فِي يَدِي وَأَنَا خَائِفٌ
هَذِهِ الْمَرَّةَ. وَشَعَرْتُ فِي دَاخِلِي أَنِّي لَنْ أَنْتَصِرَ عَلَيْهِمْ لِكَثْرَتِهِمْ. وَلَكِنِّي لَمْ يَكُنْ أَمَامِي إِلَّا
أَنْ أَدَافِعَ عَنْ نَفْسِي وَأَدْخُلَ مَعَهُمْ فِي مَعْرَكَةٍ مَهْمَا كَانَتْ النِّهَايَةُ. وَمَعَ اقْتِرَابِهِمْ أَكْثَرَ
أَنْتَضَبْتُ فِي وَقْفَتِي وَرَفَعْتُ يَدِي بِالْخِنْجَرِ لِأَهْوِي بِهِ عَلَى أَوَّلِ مَنْ يَتَقَدَّمُ. غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُهُمْ
يَقْفُونَ فِي مَكَانِهِمْ يُحَدِّقُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ وَيَتَهَامَسُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ وَجَدْتُهُمْ بَعْدَهَا
يَسْجُدُونَ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْفَعُونَ وُجُوهَهُمْ وَيَنْظُرُونَ نَاجِيَتِي وَكَأَنَّهُمْ يُشْعِرُونَنِي بِوَلَائِهِمْ
لِي. ثُمَّ تَقَدَّمَ مِنِّي أَحَدُهُمْ وَفِي عَيْنَيْهِ نِظَارَاتُ ضَارِعَةٍ مَمْرُوجَةٍ بِالْخَوْفِ وَوَقَفَ أَمَامِي يُشِيرُ
بِحَرَكَاتٍ لَمْ أَفْهَمْ مِنْهَا إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا يُرِيدُونَ مِنِّي أَنْ أَذْهَبَ مَعَهُمْ لِرُؤْيَيْهِ. وَلَمْ يَكُنْ
أَمَامِي إِلَّا تَلْبِيَةٌ رَغَبْتِيهِمْ فَأَشْرْتُ لَهُ كَيْ يَسِيرَ أَمَامِي فَظَهَرَتْ بَوَادِرُ السُّرُورِ عَلَى وَجْهِهِ وَأَشَارَ
إِلَى زُمَلَائِهِ فَوَجَدْتُهُمْ يَهْلُلُونَ وَيَقْفِزُونَ فِي الْهَوَاءِ فَرَحًا، تَمَامًا كَمَا تَفْعَلُ الْقُرُودُ. ثُمَّ
أَسْتَدَارُوا لِيَهْطُوا الْجَبَلَ وَأَنَا أَسِيرُ خَلْفَهُمْ وَلَا أَعْلَمُ مَا يَنْتَظِرُنِي أَوْ مَاذَا يُرِيدُونَ مِنِّي حَتَّى
وَصَلْنَا إِلَى بَابِ الْكَهْفِ فَدَخَلُوا إِلَيْهِ وَأَدَّ خَلْفَهُمْ. وَرَأَيْتُ دَاخِلَ الْكَهْفِ نِسَاءَهُمْ وَأَطْفَالَهُمْ

يَقِفُونَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ فِي خَوْفٍ وَرَهْبَةٍ. فَابْتَسَمْتُ لَهُمْ وَرَأَيْتُ أَثَرَ ابْتِسَامَتِي عَلَى
وُجُوهِهِمْ. فَقَدْ تَبَدَّلَتْ نَظَرَاتُ الْخَوْفِ فِي وَجُوهِهِمْ إِلَى أَطْمِئْنَانٍ وَسَكِينَةٍ وَبَدَأَ الْأَطْفَالُ
يَتَقَدَّمُونَ نَاحِيَّتِي وَوَجَدْتُني أُرَبَّتُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ بِيَدِي فِي سَعَادَةٍ وَحُبٍّ. وَكَانَ رَجُلُهُمْ قَدْ
وَقَفُوا حَوْلَ مَائِدَةٍ كَبِيرَةٍ صُنِعَتْ مِنَ الْحِجَارَةِ وَعِيشِهَا مَا لَذٌّ وَطَبٌّ مِنَ الثَّمَارِ وَالْغَزَلَانِ
الْمَشْرِوِيَّةِ وَأَشَارُوا لِي بِأَنْ أَجْلِسَ فَجَلَسْتُ وَأَكَلْتُ حَتَّى شَبِعْتُ وَهُمْ وَقُوفٌ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ فِي
سَعَادَةٍ بِالْغِنَةِ. وَبَعْدَ أَنْ فَرَعْتُ جَلَسُوا هُمْ يَأْكُلُونَ مَا تَبَقِيَ مِنِّي. وَبَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ وَجَدْتُ
النَّوْمَ يَغْلِبُنِي وَعَيْنِي تَغْمَصَانِ رَغْمًا عَنِّي. وَحَاوَلْتُ جَهْدًا أَنْ أَكُونَ مُتَقِظًا حَتَّى لَا يَحْدُثَ
مِنْهُمْ مَا يَضُرُّنِي أَثْنَاءَ نَوْمِي. وَلَكِنْ سُلْطَانَ النَّوْمِ كَانَ أَقْوَى مِنْ كُلِّ الْمَخَافِ وَالَّتِي
بِدَاخِلِي فَلَمْ أَشْعُرْ بَعْدَ ذَلِكَ بِشَيْءٍ إِلَّا فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ وَأَنَا أَتَقَلَّبُ عَلَى فِرَاشٍ مِنْ
فِرَاشِ الْحَيَوَانِ قَدْ وُضِعَ عَلَى أَعْشَابٍ رَخْوَةٍ فَجَعَلَتْهُ فِرَاشًا وَثِيرًا لَيْنًا مُرِيحًا لِلْجَسَدِ. وَنَمًا
رَأَوْنِي مُسْتَقِظًا أَسْرَعُوا إِلَيَّ بِسِلَالٍ مِنَ الْفَاكِهَةِ الطَّازِجَةِ فَأَكَلْتُ ثُمَّ قَدَّمُوا لِي آيَةً بِهَا لَبَنٌ
فَشَرِبْتُ وَحَمِدْتُ اللَّهَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَحْدُثْ مِنْهُمْ شَيْءٌ أَثْنَاءَ نَوْمِي وَشَكَرْتُهُمْ بِابْتِسَامَاتِي.
ثُمَّ نَهَضْتُ مِنْ فِرَاشِي وَأَخَذْتُ أَتَجَوَّلُ فِي جَوَانِبِ الْمَعَارَةِ فَارَأَيْتُ سَرَادِيبَ كَثِيرَةً فِيهَا.
وَحَاوَلْتُ دُخُولَ أَحَدِهَا فَوَجَدْتُهُمْ يَصْرُخُونَ وَيَقْفِزُونَ وَكَأَنَّهُمْ يُحَذِّرُونَنِي مِنْ خَطَرٍ أَنَا مُقَدِّمٌ
عَلَيْهِ فَوَقَفْتُ فِي مَكَانِي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فِي دَهْشَةٍ وَأَنْظُرُ إِلَى دَاخِلِ السَّرْدَابِ وَعِنْدِي فَضُولٌ
وَرَغْبَةٌ مُلِحَّةٌ فِي أَنْ أَكْتَشِفَ مَا بِدَاخِلِهِ. وَلَكِنِّي فِي النَّهَايَةِ لَمْ أَشَأْ أَنْ أَغْضِبَهُمْ أَوْ أَثِيرَ
مَخَافَتِهِمْ فَتَرَكْتُ السَّرْدَابَ وَاتَّجَهْتُ إِلَى بَابِ الْكَهْفِ وَوَقَفْتُ خَارِجَهُ وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى
الْفَضَاءِ بَيْنَمَا ذَهْنِي وَتَفَكِيرِي فِي هَذَا السَّرْدَابِ وَمَا بِدَاخِلِهِ. وَقَدْ أَضْمَرْتُ فِي نَفْسِي أَنْ
دَخَلَهُ مَهْمَا كَلَّفَنِي الْأَمْرَ. عَلَى أَنْ يَكُونَ هَذَا فِي غَيْبَةِ مِنْهُمْ وَبِغَيْرِ عِلْمِهِمْ. وَيَبْدُو أَنَّهُمْ
أَسْتَرَا حُوا لِيُعْذِي عَنْ هَذَا السَّرْدَابِ فَوَقَفُوا خَارِجَ الْكَهْفِ حَوْلِي يَنْظُرُونَ إِلَيَّ مَا أَنْظُرُ تَارَةً
وَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ تَارَةً أُخْرَى. وَوَضَحَ لِي مِنْ نَظَرَاتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ جَعَلُونِي زَعِيمًا

عَنِهِمْ أَوْ اتَّخَذُونِي مَلِكاً لَهُمْ . وَكَلَّا الْأَمْرَيْنِ صَعَبٌ بِالنُّسْبَةِ لِي . فَإِنِّي أَنُشِدُ اللَّحْظَةَ الَّتِي
يُمْكِنُ فِيهَا أَنْ أَرْحَلَ عَنْهُمْ أَوْ أَفِرَّ مِنْهُمْ . وَلَكِنَّ هَذَا لَنْ يَكُونَ قَبْلَ أَنْ أَرَى مَا يَدْخُلُ هَذَا
السَّرْدَابَ . نَظَرْتُ إِلَى أَسْفَلِ الْجَبَلِ فَوَجَدْتُ أَنَّ النُّزُولَ أَسْهَلَ كَثِيراً مِنَ الصُّعُودِ وَأَسْرَعَ .
كَمَا أَنَّ خُطُوبِي أَسْرَعَ كَثِيراً مِنْ خُطُوبِ هَؤُلَاءِ الْأَقْرَامِ صِغَارِ الْقَامَةِ . وَلِذَلِكَ فَإِنِّي
أَسْتَطِيعُ وَقْتُ اللُّزُومِ أَنْ أَفِرَّ مِنْهُمْ وَلَنْ يَسْتَطِيعُوا اللَّحَاقَ بِي . وَلَكِنْ إِلَى أَيْنَ الْفِرَارُ؟ فَلْيَكُنْ
إِلَيَّ أَيُّ مَكَانٍ دَاخِلِ الْجَزِيرَةِ الْوَاسِعَةِ بَعِيداً عَنْهُمْ . لَكِنْ لَنْ يَكُونَ هَذَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَرَى مَا
يَدْخُلُ هَذَا السَّرْدَابَ .

مَضَتْ أَيَّامٌ عَدِيدَةٌ وَأَنَا أَعِيشُ دَاخِلَ هَذَا الْكَهْفِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَنْعَمُ بِكُلِّ مَا لَدَّ
وَطَابَ وَصَبَحْتُ مَوْضِعَ إِعْجَابٍ نِسَائِهِمْ وَمَحَبَّةٍ أَطْفَالِهِمْ . وَكُنْتُ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ
أُخْرِجُ مِنَ الْكَهْفِ وَأَتَجَوَّلُ فَوْقَ الْجَبَلِ . وَكَانُوا فِي الْبِدَايَةِ يَلْتَفُّونَ حَوْلِي كُلَّمَا خَرَجْتُ
وَكَانَتْهُمْ يَحْرُسُونَنِي أَوْ رَبُّمَا يَخَافُونَ أَنْ أَتْرَكَهُمْ وَأَرْحَلَ عَنْهُمْ بَعْدَ أَنْ أَحْسَوْا بِالْأَمَانِ فِي
وَجُودِي . غَيْرَ أَنِّي مَعَ الْأَيَّامِ تَعَنَّمْتُ أَنْ أُخَاطِبَهُمْ بِالْإِشَارَةِ فَكُنْتُ أَشِيرُ إِلَيْهِمْ أَحْيَاناً أَنْ
يَتْرَكُونِي أَتَجَوَّلُ وَحْدِي فَيَسْتَجِيبُوا لِإِشَارَتِي وَيَقِفُوا بَعِيداً عَنِّي . وَكُنْتُ أَحَاوِلُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ
أَنْ أَبْتَعِدَ عَنْهُمْ أَكْثَرَ حَتَّى أَلْفُوا أَنْ أَذْهَبَ بَعِيداً عَنْهُمْ وَحْدِي . وَفِي إِحْدَى هَذِهِ الْمَرَّاتِ
الَّتِي كُنْتُ أَتَجَوَّلُ فِيهَا رَأَيْتُ فَوْقَ الْجَبَلِ عُشْباً نَاضِجاً مِنَ الْأَعْشَابِ الْمُخْدَّرَةِ الَّتِي مَا أَنْ
يَمْضَغَهَا الْإِنْسَانُ أَوْ يَشْرَبُهَا حَتَّى يَنَامَ لِعِنَّةِ أَيِّمٍ . وَطَرَأَتْ عَلَيَّ بِأَلِيٍّ فِكْرَةٌ أَنْ أَضَعَ لَهُمْ مِنْهُ
فِي طَعَامِهِمْ وَأَفْعَلَ بَعْدَهَا مَا أُرِيدُ . لَكِنِّي خِفْتُ عَلَى أَطْفَالِهِمْ مِنْ هَذَا الشَّيْءِ الَّذِي يُمْكِنُ
أَنْ يَضُرَّهُمْ وَيَقْتُلَهُمْ . فَعَدَلْتُ عَنْ فِكْرَتِي وَتَرَكْتُ كُلَّ شَيْءٍ لِلْوَقْتِ الْمَلَائِمِ .

وَفِي مَسَاءٍ لِيَوْمٍ نَفْسِهِ جَسَتْ عَلَى فِرَاشِي أَفَكَّرْتُ فِي وَسِيلَةٍ أَسْتَطِيعُ بِهَا أَنْ أَخْدَرَ
الْكِبَارَ بِحَيْثُ لَا يُصَابُ الصَّغِيرُ . فَوَاتَنِي فِكْرَةٌ جَيِّدَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى بَضْعَةِ أَيَّامٍ . وَقَرَّرْتُ أَنْ
أَبْدَأَ مِنَ الْغَدِ .

وفي صباح اليوم التالي أشرت لهم بأن الأطفال يجب أن يأكلوا أولاً. وبعدها يأكل الكبار. وصار هذا نظاماً مفروضاً عليهم مني لعدة أيام. وبعدها ذهبت إلى حيث رأيت الأعشاب واقتطفت منها ما يكفي وذهبت إلى الكهف فوضعتها في قدور الطعام في غفلة منهم. وكان هذا بعد أن أكل الصغار وفرغوا من طعامهم. وبدأ الكبار في الأكل حتى امتلأت بطونهم واكتفوا ثم انقلبوا على الأرض وراحوا في سبات عميق. وأسرعت إلى السرداب من فوري وبدأت أخطو بداخله وكلتي شوق لمعرفة ما يحويه ويا لهول ما رأيت. كان السرداب مظلماً رطباً في بدايته. ثم بعد بضع خطوات كان هناك سد من الحجارة يرتفع إلى نحو متر من الأرض ليحول دون دخول الأطفال. تخطيت هذا السور فوجدت انحداراً في الأرض يجذب الإنسان إلى أسفل إذا لم يكن على حذر. ولما تقدمت قليلاً وجدت أنه من العسير أن أتقدم أكثر لشدة الانحدار. ولكنني أمسكت بكلتا يدي بحائط السرداب وأنا أنقل قدمي خطوة خطوة في حذر شديد. وفجأة أنزلت قدمي وهويت إلى الأرض وتخرج جسدي إلى أسفل المنحدر بسرعة رهيبية. وحاولت جاهداً أن أتشبث بالأرض ولكن كذا الاندفاع أقوى من أن أفعل شيئاً حتى اصطدمت في النهاية بحائط السرداب صدمة قوية أحسست منها أن جسدي كله قد تفتت. ولما استويت جالساً نظرت لأرى إلى يساري فتحة كبيرة ينبعث منها ضوء نفاذ أزرق اللون. كما أنني شعرت بهواء ساخن يصاحب هذا الضوء. فتقدمت زاحفاً ونظرت داخل هذه الفتحة لأرى ما لم تره عين أو يصدق عقل. كان المكان أشبه بمغارة من الزجاج والبلور. كل شيء فيها يبرق وكل شيء مضيء. وفي الأسفل بحيرة من سائل يغلي ويخرج فقاعات ملتهمة. وكان الاقتراب من هذا المكان رغباً جماله الذي يأخذ بالألباب ويخطف لأبصار معناه موت محقق. ولكن هناك ما يدفعني لدخول هذا المكان. فضخوره كلها من الماس الحر الذي لا يوجد مثله في العالم كله. ولكن كيف الوصول إليه، لا بد من طريقة. أما الآن فيجب أن أحاول العودة من السرداب إلى الكهف.



THE GIRL WITH THE BASKET

وَبَدَأَتْ الزَّحْفَ هَذِهِ الْمَرَّةَ بِيَدَيَّ وَقَدَمَيَّ حَتَّى اسْتَطَعْتُ أَنْ أَصِلَ إِلَى الشُّورِ. وَقَفَزْتُ مِنْ
فَوْقِ الْحِجَارَةِ وَدَخَلْتُ إِلَى الْكَهْفِ لَأَرَى الْجَمِيعَ يَغُطُّونَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ. فَفَعَلْتُ مِثْلَهُمْ
وَاسْتَلْقَيْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي لِلنَّوْمِ.

فِي الْأَيَّامِ التَّالِيَةِ بَدَأْتُ أَشْغَلَ وَقَتِي بِصُنْعِ حَبْلِ مِنْ أَلْيَافِ الْأَعْشَابِ وَالنَّبَاتَاتِ.
وَلَمَّا رَأَيْتُ هَؤُلَاءِ النَّاسُ أَفْعَلُ ذَلِكَ بَدَأُوا يَفْعَلُونَ مِثْلِي حَتَّى صَارَ لَدَيَّ فِي النَّهَائَةِ حَبْلٌ
طَوِيلٌ وَمَتِينٌ. وَاتَّخَذْتُ قَرَارِي بِأَنْ أَفْعَلَ بِالْقَوْمِ مَا فَعَلْتُهُ بِهِمْ فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ.
فَوَضَعْتُ لَهُمُ الْمُخَذَّرَ فِي الطَّعَامِ بَعْدَ أَنْ فَرَّغَ الْأَطْفَالُ. وَنَامَ الْكِبَارُ جَمِيعاً كَالْأَمْوَاتِ.
فَأَخَذْتُ الْحَبْلَ وَثَبَّتُ طَرَفَهُ فِي إِحْدَى صُخُورِ الْحَائِطِ. وَأَوَثَقْتُ الطَّرَفَ الْآخَرَ حَوْلَ
وَسْطِي. ثُمَّ تَخَطَّيْتُ سَدَّ الْحِجَارَةِ وَاسْتَلْقَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ وَتَرَكْتُ جَسَدِي يَنْزِلُ إِلَى
أَسْفَلِ السَّرْدَابِ وَأَنَا مُمَسِّكُ الْحَبْلَ بِكِلْتَا يَدَيَّ أَتَحَكَّمُ مِنْ خِلَالِهِ بِسُرْعَةٍ ائْتَدَاعِي حَتَّى
وَصَلْتُ إِلَى نَهَائَةِ السَّرْدَابِ فَتَحَوَّلْتُ بِجَسَدِي إِلَى حَيْثُ تِلْكَ الْفُتْحَةُ وَأَلْقَيْتُ بِنَفْسِي فِيهَا
وَصِرْتُ مُعَلَّقاً بِالْحَبْلِ الَّذِي فِي وَسْطِي. وَحَمَدْتُ اللَّهَ عَلَى أَنَّ الْحَبْلَ كَانَ مَتِيناً وَإِلَّا
لَكُنْتُ هَوَيْتُ إِلَى قَاعِ هَذِهِ الْبُحِيرَةِ الْمُتَلَهَّبَةِ. وَأَخْرَجْتُ خَنْجَرِي وَجَعَلْتُ أَضْرِبُ بِهِ بَيْنَ
هَذِهِ الصُّخُورِ الْمَاسِيَّةِ وَأَضَعُ دَاخِلَ قَمِيصِي كُلَّ مَا أَحْصَلُ عَلَيْهِ حَتَّى أَصْبَحْتُ ثَقِيلَ الْوِزْنِ
وَأَصْبَحَ ضَغْطُ الْحَبْلِ عَنِّي وَسْطِي شَدِيداً فَوَضَعْتُ خَنْجَرِي فِي مَكَانِهِ وَصِرْتُ أَجْذِبُ
جَسَدِي إِلَى أَعْلَى بِكِلْتَا يَدَيَّ مِنْ خِلَالِ الْحَبْلِ. وَكَانَ جُهْداً مُضْنِياً وَاسْتَطَعْتُ بَعْدَ تَعَبٍ
وَمَشَقَّةٍ أَنْ أَصِلَ إِلَى فُتْحَةِ الْمَغَارَةِ فَاسْتَلْقَيْتُ عَلَى أَرْضِ السَّرْدَابِ لِأَسْتَرِيحَ قَلِيلاً مِنْ
التَّعَبِ وَأَخْرَجْتُ قِطْعاً مِنَ الْمَاسِ أَنْظَرُ إِلَيْهَا فَرَأَيْتُهَا تُضِيءُ ظَلَامَ السَّرْدَابِ. وَأَحْسَسْتُ
بِفَرَحَةٍ غَامِرَةٍ لِنَجَاحِي فِي هَذِهِ الْمُغَامَرَةِ الْمُثِيرَةِ وَلِحُصُولِي عَلَى هَذَا الْمَاسِ النَّادِرِ.
وَبَدَأْتُ لَزْحَفَ إِلَى أَعْلَى حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الْكَهْفِ وَكَانَ سَكَّانُهُ لَا يَزَالُونَ يِيَاماً. وَفَكَكْتُ
الْحَبْلَ مِنْ وَسْطِي وَأَخْرَجْتُ كُلَّ مَا مَعِيَ مِنَ الْمَاسِ وَوَضَعْتُهُ تَحْتَ حَاشِيَةِ الْفِرَاءِ الَّذِي

أَنَامَ عَلَيْهِ وَاسْتَلَقْتُ فَوْقَ الْفِرَاشِ وَسَبَحْتُ بِأَفْكَارِي بَعِيداً جِداً. وَبَعْدَ أَنْ اخْتَوَانِي النَّوْمُ
شَاهَدْتُ فِي أَحْلَامِي أَنِّي قَدْ عُدْتُ إِلَى مَدِينَةِ بَغْدَادِ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ كُلِّهِمْ فِي اسْتِقْبَالِي.
وَلَكِنِّي صَحَوْتُ مِنْ نَوْمِي وَأَفَقْتُ مِنْ أَحْلَامِي لِأَجْدَنِي دَاخِلَ الْكَهْفِ وَفِي أَسْفَلِ فِرَاشِي
كَثُرَ لَا يُقَدَّرُ بِمَالٍ.

مَضَتْ عِدَّةُ أَيَّامٍ وَأَنَا أَفْكُرُ فِي وَسِيلَةِ الْخُرُوجِ مِنَ الْكَهْفِ وَالْجَزِيرَةِ كُلِّهَا وَالْعَوْدَةِ
إِلَى بِلَادِي. وَهَذَا نِي تَفْكِيرِي فِي النَّهَايَةِ إِلَى أَنْ أَصْنَعَ مَرْكَباً صَغِيراً بِمُسَاعَدَةِ هَؤُلَاءِ
النَّاسِ. وَكَانَ قَدْ صَارَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ أَلْفَةُ كَبِيرَةٍ وَأَصْبَحْتُ أَسْتَطِيعُ التَّفَاهُمَ مَعَهُمْ جِداً
بِالْإِشَارَةِ وَبِبَعْضِ كَلِمَاتٍ تَعَلَّمُوهَا مِنِّي. وَبِمَا أَنِّي صِرْتُ زَعِيمَهُمْ فَلَنْ يُخَالِفُوا لِي أَمراً.
وَكَانَ كُلُّ مَا أَرْجُوهُ مِنْهُمْ أَنْ يَتْرَكُوا حَيَاةَ الْكَهْفِ وَيَنْزِلُوا مِنْ فَوْقِ الْجَبَلِ لِيَعِيشُوا عَلَى
أَرْضِ الْجَزِيرَةِ. وَلَكِنْ خَوْفُهُمْ مِنْ وُحُوشِ الْجَزِيرَةِ كَانَ يَمْنَعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ. وَمَرَّةً ثَمَرَةً
كُنْتُ أَصْحَبُهُمْ إِلَى الْأَرْضِ فَنَجَمَعُ مِنْ ثِمَارِهَا وَإِلَى الْأَنْهَارِ نَصِيدُ مِنْ أَسْمَاكِهَا حَتَّى
أَصْبَحُوا بَعْدَ ذَلِكَ يَسْعُدُونَ وَيَنْتَهَجُونَ كُلُّمَا نَزَلُوا مِنَ الْجَبَلِ.

وَأَسْتَطَعْتُ فِي النَّهَايَةِ أَنْ أَجْعَلَهُمْ يَتْرَكُونَ هَذَا الْكَهْفَ وَيَصْطَلِحُوا أَوْلَادَهُمْ
وَنِسَاءَهُمْ إِلَى أَرْضِ الْجَزِيرَةِ بَعْدَمَا بَنَوْا أَكْوَاحاً لَهُمْ تَحْمِيهِمْ مِنْ شَرِّ الْوُحُوشِ. كَمَا
صَنَعُوا لِي كَوْخاً كَبِيراً صَارَ بِمِثَالَةِ قَصْرِ الْحَاكِمِ. وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّهُمْ يَقِفُونَ عَلَى بَابِهِ
لِحِرَاسَتِي. وَصَارَتْ حَيَاتِي مَعَهُمْ عَلَى الْجَزِيرَةِ هَانِئَةً. وَاکْتَشَفْتُ أَنَّهُمْ قَوْمٌ طَيِّبُونَ وَإِنْ دَلَّ
مَظْهَرُهُمْ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ. بَلْ إِنِّي أَخَذْتُ أَمِيلُ لِلْحَيَاةِ مَعَهُمْ إِلَى الْأَبَدِ بَعِيداً عَنِ الدُّنْيَا
الْبَعِيدَةِ وَغَدَرِ أَهْلِهَا. وَلَكِنْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَجِدُ عِنْدِي شَوْقاً إِلَى بِلَادِي وَأَحْنُ إِلَى
مَدِينَتِي.

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ رَأَيْتُهُمْ يُقْبِلُونَ إِلَى الْكُوخِ وَهُمْ يَصْرُخُونَ وَيُلَوِّحُونَ بِأَيْدِيهِمْ
إِلَى نَاحِيَةِ الْبَحْرِ فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ وَجَرَيْتُ إِلَى الشَّاطِئِ لِأَرَى مَرْكَباً كَبِيراً أَلْقَى مِرْسَاتَهُ



بعيداً عن الشاطئ ويبذون أن أهله وقفوا يرقبون من بعيد وهم خائفون أن يتقدموا. وكانت
 فرحتي غامرة وسعادي بالغة لرؤيتها. فأشرت لمن معي ألا يخافوا وألا ينزعجوا.
 وأخبرتهم بأنهم أهلي وعشيرتي جاؤوا ليزياري. وعليهم أن يقوموا بواجب ضيافتهم. ثم
 أخذت ألوح بيدي لركاب المركب وأنادي عليهم أن يتقدموا. وما هي إلا برهة حتى
 رأيتهم يذلون بقارب إلى الماء ونزل فيه بعض منهم وأخذوا يجذفون إلى الشاطئ. ولم
 أنتظر حتى يصلوا إليه. بل أندفعت إلى الماء واتجهت إليهم وألقيت بنفسي داخل
 القارب وأخذت احتضنهم وأنا أقول: مرحب بكم في جزيرتي. بينما كانوا هم مشدوهين
 أمامي. ثم سألتهم من أي البلاد أنتم. فقالوا بلسان عربي: «نحن من أهل الشام».
 إئتابتي فرحة غامرة وقلت من أي بلاد الشام أنتم. فقالوا: «من اللاذقية». فقلت:
 «أهلاً بكم من جيراني أحباب. وعرب شجعان. أنا من بغداد». فقالوا: «أهلاً بك».
 وكان بعض الأقزام قد تجمع حولنا فرآهم ركاب القارب وتوجسوا منهم خوفاً. لكنني
 طمئنتهم وأخبرتهم بأنهم قوم مسالمون. ووقفوا بعد ذلك على الشاطئ وأشروا إلى من
 في المركب بإشارات متفق عليها فقتربوا من الشاطئ وألقوا المرساة ونزلوا إلى البر
 جميعاً وبدأ التعارف بيني وبينهم ثم بينهم وبين الأقزام. ونزل الجميع ضيوفاً على
 الجزيرة يتمتعون بكرم الضيافة وأخبرتهم بأنني راجل معهم فرحبوا بي. وطلبت من ربان
 المركب أن يكون رحيلنا في غفلة من هؤلاء القوم أصحاب الجزيرة الذين جعنوني
 زعيماً عليهم. ولن يكون رحيلي هيناً بالنسبة لهم. فوافق الرجل وقال لي: - كن جاهزاً
 بأحمالك في خلال ثلاثة أيام. فقلت ليس معي من الأحمال إلا خرج كبير.

وفي الأيام الثلاثة كان البحارة يحملون إلى المركب كل ما يلزم من زاد حتى
 اكتملت. وفي الليل والقوم نيام تسللنا من الجزيرة مع ضوء القمر إلى سطح المركب
 ورفعنا المرساة ونشروا الشراع فامتلاً بالهواء ودفع بالسفينة إلى عرض البحر. ولاحت

مِنِّي التَّفَاتَةُ إِلَى الْخَلْفِ فَسَالَ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي حُزْنًا عَلَى فِرَاقِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الطَّيِّبِينَ .
وَلَوْلَا شَوْقِي إِلَى بِلَادِي وَحَنِينِي إِلَى أَوْطَانِي لَمَا تَرَكْتُهُمْ أَبَدًا .

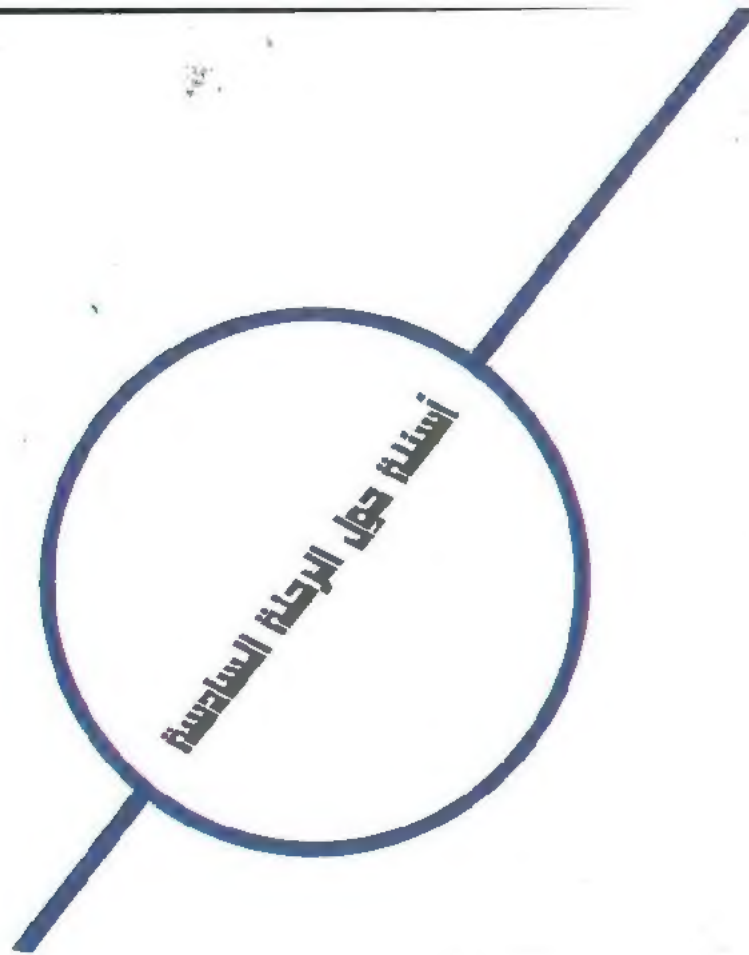
مَضَى الْمَرْكَبُ فِي طَرِيقِهِ تَدْفَعُهُ رِيَّاحٌ طَيِّبَةٌ وَعِنَايَةُ اللَّهِ تَحْرُسُهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى
شَاطِئِ اللَّادِيقِيَّةِ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعِدَّةِ أَيَّامٍ . وَهَنَّاكَ طَلَبْتُ مِنَ الرَّبَّانِ أَنْ يَتَّجِهَ بِي وَخُذِي
إِلَى مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ وَأَعْطَيْتُهُ مَاسَةً كَبِيرَةً مِنَ الْبَيِّ مَعِيَ فَفَرَحَ الرَّجُلُ بِهَا وَصَارَ يَشْكُرُنِي
وَيَدْعُو لِي . وَأَمَرَ الْبَحَّارَةَ بِأَلَّا يَغَادِرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ السَّفِينَةَ .

وَمَا أَنْ أَتَى مَسَاءَ الْيَوْمِ حَتَّى كُنَّا فِي طَرِيقِنَا إِلَى شَاطِئِ الْبَصْرَةِ فَوَصَلْنَاهَا بَعْدَ
يَوْمَيْنِ اثْنَيْنِ . وَمِنْ هُنَاكَ أَخَذْتُ قَافِلَةً تَوَجَّهْتُ بِهَا إِلَى مَدِينَةِ بَغْدَادٍ وَذَهَبْتُ مِنْ فُورِي إِلَى
السُّوقِ حَيْثُ مَتَجَّرِي فَالْتَفَّ النَّاسُ حَوْلِي وَأَسْرَعَ إِلَيَّ عُمَالِي يَهْتَوْنِي بِسَلَامَةِ الْوُصُولِ .
ثُمَّ تَوَجَّهْتُ إِلَى قَصْرِي لِأَسْتَرِيحَ مِنْ عَنَاءِ السَّفَرِ .

وَفِي الْمَسَاءِ كَانَ الْقَصْرُ كُلُّهُ فِي حَالَةٍ مِنَ الْفَرَحَةِ وَالْبَهْجَةِ فَقَدْ جَاءَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ
مَكَانٍ يَهْتَوْنِي وَزَادَتْ بَهْجَتِي بِوُصُولِ الْخَلِيفَةِ الَّذِي أَتَى بِنَفْسِهِ وَحِيَانِي وَسَمِعَ مِنِّي كُلَّ
مَا جَرَى . وَقَبْلَ أَنْ يُودَّعَنِي قَالَ لِي : - لَقَدْ رُزِقْتُ بِوَلِيِّ الْعَهْدِ وَسَتَكُونُ بِمَثَابَةِ الْجَدِّ لِهَذَا
الْمَوْلُودِ الْجَدِيدِ . فَقُلْتُ لَهُ : - يَا مَوْلَايَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ وَجَعَلَ مَوْلِدَهُ مَوْلِدَ السَّعْدِ لَكُمْ
وَلِبَلَدِنَا الْحَبِيبِ .

وَهَكَذَا كَانَتْ يَا إِخْوَانِي رِحْلَتِي السَّادِسَةَ وَمَا صَادَفْتُهُ فِيهَا . وَعُدْتُ مِنْهَا بِكَثْرٍ أَضْفَتْهُ
إِلَى بَقِيَّةِ مَالِي بَعْدَ أَنْ تَصَدَّقْتُ بِالْكَثِيرِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَكَافَأْتُ عُمَالِي . وَطَابَتْ
لِي الْحَيَاةُ بِعَوْدَتِي إِلَى مَدِينَتِي .

فَالْيَ لِقَاءِ آخَرِ .



١	لماذا قرر «السندباد البحري» السفر؟
٢	لماذا كان رُبَّان السفينة غير قادر على السفر؟ كيف حُلَّتْ مشكلته؟
٣	كيف تحوَّلت ملكية السفينة إلى السندباد؟
٤	ماذا حلَّ بريان السفينة في الطريق؟ وما هو سر الصندوق الذي تركه له؟
٥	ما الذي فعله البحَّارة بالسندباد؟ كيف وصل إلى الشاطئ؟
٦	كيف تَخَلَّص السندباد من القَطِّ المتوحَّش؟
٧	هل تمكن السندباد من تسلُّق الجبل بسهولة؟ ما الذي أخافه؟ وهل تمكن من التغلب على تلك المخلوقات؟
٨	هل بقيت العداوة قائمة بين السندباد وتلك المخلوقات؟ ما الذي حصل؟
٩	ما هي الخطة التي اتبعتها السندباد للدخول إلى السرداب المحاذي للمنارة؟ هل نجح في ذلك؟
١٠	كيف تمكن السندباد من الحصول على الماس؟
١١	لماذا شرع السندباد في بناء المركب؟ ومن ساعده في ذلك؟
١٢	كيف تمكن السندباد من الخروج من الجزيرة؟ ولماذا لم يُخبر تلك المخلوقات بعزمه على السفر؟

قاموس الألفاظ

أ

آثر: فضل.
أثبث: أتملق.
أتقي بها: أحتمي بها.
أرَبْتُ: أضربُ بلطف.
أسنة: مفردھا ستان وهو نصل
الرمح.
أضمرت: أخفيت.
الأدغال: الأشجار الكثيرة والملففة.
الإعياء: التعب الشديد.
الألباب: العقول.
ألقة: صداقة ومؤانسة.
أمنتُ النظر: حدقتُ.
أوصالي: أعضائي.

ت

تدانيها: تقاربها.
الثائ: الضائع.

ج

جلتھا: ظنتھا.

د

ركله: ضربه برجله.

س

سبات: نوم.

ع

عامرة: مليئة.

ف

فرغوا: انتهوا.
فضول: حشرية.

م

متيقظاً: حذراً.
محقق: مؤكد.
مروءة: نخوة.
مكثنا: بقينا.
المذعورة: الخائفة.
الملائم: المناسب.

ن

النادر: القليل الوجود.

و

وعول: مفردھا وعل وهو تيس
الجبيل.

ي

يأبه: يهتم.
يحتضر: يتأزع.
ينشد: يطلب.



رحمة الله تعالى

- ١ : الأبيقة المخطوفة
- ٢ : أرض الألبان
- ٣ : المارد واللولؤ
- ٤ : سروجي القيل
- ٥ : زواجي الأبيقة
- ٦ : في جزيرة الأفرام
- ٧ : الزواجي السعيد

الكتاب المجلد من الطباعة والنشر
مكتبة - بيروت

ISBN 978-614-414-753-5



9 786144 147535